وجه صالح للسينما

للكاتبة الالمانية فيكى بوم

مؤلفة « الفندق الكبير »

كانت من المصادفات النادرة الوقوع ان شاهد جوهانس ـ فيليب المخرج السينمائى ، من خلف الصحيفة التى كان يطالع فيها وهو فى عربة الترام . تلك المرأة العجوز الجالسة أمامه فاذا بجسمه يضطرب اضطرابا ظاهرا واذا البرودة تسرى الى اطرافه .

كانت هذه المرأة ، واسمها دريجالسكى ـ المادريجالسكى ـ من اللاتى تراهن فلا تستطيع ان تقدر لهن عمرا ، تراها فكأنك ترى تمثالا للشقاء والبؤس ، وكأنها الفقر عاريا متجردا فى صورة انسان

ولم يكن شعرها الذى فقد لونه المنسدل حول وجهها النحيف الشاحب هو كل ماأثر فى نفسه ؛ بل أثرت فيها تلك التجاعيد التى لاعدلها والتى تملأ وجهها ، تجاعيد حول فمها الغائر ، وتجاعيد خطت سطورا متقاطعة فوق جبينها ، وحفر قاتمة مظلمة تحت عينيها ، اثر فى نفسه منظر يديها النحيلتين اللتين برزت عظامهما ممسكتين كيسا من الجلد وضعت فيه ما أحضرته من السوق ، وحذاؤها الذى لم يبق منه طول العهد غير الاثر ، ثم تلك الاسمال النظيفة البالية التى ترتديها .

لكن أشد ماتأثرت به نفس المخرج السينمائى هو مابدا على المرأة من اهمال وقلة مبالاة ، وملامح اليأس والتعس والقنوط التى تم عليها عيناها تحت حاجبيها النحيلتين

وأغمض عينيه لحظة ليخفف الاثر الذى فعلته فى نفسه ، وهنا فى تلك اللحظة ـ مر خاطر بباله ، وكأنه يرى امامه ، منظر الجماهير المحتشدة فى احد المناظر التى يعدها للشريط السينمائى الجديد الذى هو اخراجه ويريد ان يضع له عنوانا : صرخة من « الاعماق »

وخيل اليه انه يرى جما من النساء ، وكأن كل واحدة منهن تشبه تلك التى امامه ، رآهن جميعاً يتزاحمن ناحية سلم كبير وكأن بينهن تلك الجالسة امامه الآن ، الا انها انتحت بعيدا عنهن جميعا ثم سارت يعلو عليها البؤس والاسى

وفتح المخرج السينمائى عينيه يوذكر انه فى عربة الترام ، فقام من مجلسه وتقدم نحو المرأة قائلا

ـ هل لك ياسيدتى ان تحضرى يوما الى الرجل الذى اعطيك عنوانه الآن ؟ وأحسبه يدفع لك أجرا طيبا .

ومرت فترة حتى بلغت كلماته ادراك دريجالسكى ، ولكنها لم ترفع اليه بصرها برغم انها فهمت مايريد ، وربما كانت متعبة فلم تستطع ان تجلى فيه بصرها ، او حال الالم البادى فى عينها دون أن تنظر اليه ، واخيرا فتحت فمها المطبق وقالت :

ـ أأعمل عمل غسالة ؟

ـ كلا ، بل عمل سهل وأجر طيب ، وسوف يشرحون لك كل شىء اذا ذهبت اليهم ، وأجابت وقد اهتزت عربة الترام فكادت المرأة تسقط من مقعدها

ـ اسمع !.. انى كنت أغسل .. وكنت أتناول سبعين (بفنتج) اجر ساعة واحدة فى اليوم ، ولكن هذا العمل قد انتهى الآن ، والمحل الذى كنت اشتغل فيه اغلقت ابوابه ... على أى حال افضل ان اكون غسالة .

ـ لا اظنك سعيدة فى حياتك ؟ ...

وبعد أن توقفت قليلا ، قالت :

كانت الأمور سائرة سيرها الطبيعى قبل تلك النوبات التى أصبحت تنتاب زوجى ، نوبات فظيعة تصيبه فيستحيل وحشا حتى ليعجز أربعة رجال عن تهدئته ووضعه فى فراشه ، وهو عاطل لايعمل ... ينام أغلب وقته ... ولكن حين تعود اليه النوبة !...

كان عاملا فى مصانع بوش وزايش ، فسقطت قطعة من الحديد فوق رأسه ... غير أن الطبيب يقول ليس هذا وحده ما سبب له هذه النوبات ... بل لأن زوجى كان سكيراً ... ربما أصاب الطبيب ... كذلك ولدى ، عقله غير كامل ... لسوء حظه ... لم يكن بهذا القدر من السوء وهو صغير ، كان يجلس هادئاً فوق مقعده الصغير ، فلما بلغ السادسة عشرة أصبحت تصيبه نوبات شديدة ... وذلك من سوء حظه أيضاً ... فأنا التى أقوم بكل ما يحتاج اليه البيت .

من عهد قريب كنت سائرة فى الشارع فسقطت على الأرض ... ونقلت إلى أقرب محل للاسعاف . وقال الطبيب ، انها ليست مريضة انما هى قلة التغذية ... ماذا تفعل بضعة دريهمات أمام أجور الغاز ... وأجرة البيت ؟

كانت تتكلم بصوت ضعيف خافت كأنها تخاطب نفسها ، وانحنت

قليلا فوق الكيس بين يديها . لا بأس . . . إذهبي وقابلي المرثوريج فقد يصلح حالك فيما بعد ، وألح عليها فى الذهاب ما استطاع ، ثم ترك العربة وهزت دريجالسكى رأسها وهى تفكر كيف يمكن أن يصلح حالها .

وهكذا بدأت الما دريجالسكى مجدها السينمائى العظيم

ومضت إلى استوديو (هالفا) وكأنها شبح يتنقل فى هيكل من عظام، وسألت عن هرثوريج — رئاتس ثوريج . كاتب السناريو الذى كان شاعراً قبل أن يشتغل بهذا الفن .

وكاد ثوريج يجن بها فرحا ودعا اليه غيره من زملائه وقد شاركوه إعجابه . أما دريجا لسكى فظلت واقفة وسط الغرفة دون أن تدرك شيئا ومع ذلك لم يبد عليها اثر من الدهش فقد علمها الشقاء ألا تأبه لشئ .

وطلب اليها ان تسجل اسمها لدى الكاتب المختص بذلك فى الاستوديو ، وذكروا لها انها ستتناول عشرة ماركات فى اليوم ، فكان كل مابدا عليها انها عجزت عن تصديق ذلك .

كان الاستوديو غاصا بنساء كثيرات يرتدين اسمالا كتلك التى يرتديها دريجا لسكى ، وحول عيونهن تجاعيد كتجاعيدها الا انها تجاعيد زائفة من دهانات واصباغ . وألقوا بها بين الاخريات فكانت بينهن كأنها ليست منهن ، بوجهها الطبيعى وسط الوجوه المصبوغة بالغلاء وشقائها الحقيقى الذى لا تمثيل فيه . وأثرت الاضواء القوية فى عينيها حتى سالت منهما الدموع .

وفى الساعة الواحدة كانت واقفة تحت مصباح كبير بين النساء الاخريات ، وصاح رجل كان واقفا فوق منصة عالية طالباً منهن جميعاً أن يرفعن رءوسهن ويلتفتن الى جهة أشار اليها . . . وكان هذا آخر مناظر الموقف .

وذهبت جميع النسوة الى مطعم الاستوديو الا دريجا لسكى فلم تشاركهن ، بل انتحت ناحية بعيدة وجلست فوق مقعد تأكل قطعة من الخبز أخرجتها من كيسها . وثوريج لم يحول بصره عن هذا الجسم الذى يبدو كأنه بقية انسان . . . وهو يفكر — لو أنه ظل شاعراً لنظم فى صورتها قصيدة رائعة ، أما وقد أصبح مؤلفا للسينما . . .

وحان وقت العمل للتصوير فعادوا جميعا ، واستمر العمل حتى كانت الساعة الثامنة مساء ، والمخرج واقف فوق سلم أمام النسوة ، ومن ورائهن رجال آخرون يلقون عليهن الاوامر من الابواق المكبرة للصوت . واخيرا أمروهن ان يسرن الى الامام .

وقيل لدريجالسكى ان تبتعد عن زميلاتها ، وان تتقدم وحدها لتصعد السلم ، وان تفعل ذلك حين تسمع كلمة : « الآن ! سيرى » ، وما عليها الا ان تسير فى مشيتها الطبيعية المعتادة ، وحين سمعت الاشارة تباعدت عن زميلاتها وسارت ثم رفعت يديها لتحجب عن عينيها النور الذى اثر فيهما ، فلم تعد تبصر شيئا . . . والمصور واقف فوق منصته يدير آلة التصوير وقد اخذ الاعجاب كل مأخذ منه ، فكان يصيح : ما اعجب هذا ! . . ما ابدع هذا ! . .

وقال ثوريج لدريجالسكى قبل ان تمضى تعالى غدا لاخذ منظر آخر ، وصورت فى اليوم التالى وهى تحمل طفلا ، وصورت فى اليوم الثالث ثم قدموا لها ثلاثين ماركا !

وسألتهم : متى اعود ثانية ؟ فاجاب الرجل الذى تقدها أجرها وهو يمزح — سنكتب اليك حين نحتاجك ، فليس العمل منظما هنا كعمل الغسالات !

— وعادت دريجالسكى متهالكة من التعب ، لم تدرك شيئاً من كل ما حدث ، عادت الى بيتها فى انتظار أن تدعى مرة أخرى

واستدعيت المادريجالسكى مرات كثيرة فى الاشهر التالية .

وكان منظر المرأة فى بساطته وصدقه قد أعجب به كل من رآه ، ولهج النقاد بذكره كثيراً ، وبلغ إعجاب الجمهور به مداه ، وطلب الى دريجالسكى أن تقوم بدور آخر فى رواية جديدة ، ومنحت عشرين ماركا أجر هذا الدور . وسألت شركة سينمائية أخرى عن عنوانها وأرسلت اليها تستدعيها ، وهكذا تسابق اليها المخرجون ، فكان مظهرها يكسب الموقف لوناً طبيعيا رائعاً : لون الألم والبؤس الصحيح الذى لا أثر للصناعة فيه .

وخرجت دريجالسكى من عزلتها التى كانت فيها ، فتعرفت الى غيرها من النساء اللاتى تستخدمهن شركات السينما ، وعرفت منهن أن تتردد على مكاتب الاستوديو إذا طال عليها الأمد ولم يستدعها أحد ؛ ولكنها برغم ذلك كله لم تدرك من الأمر شيئاً ، وكان كل ما عرفته أن أجرها يزيد خمس مركات اذا صورت وحدها عما لو صورت بين جمع من النساء . وقد تعلمت الطمع والجشع فكانت تبذل جهدها لتحذق عملها الذى تؤمر به حتى يزيد أجرها

« البقيـــة على صفحة ٤٢ »

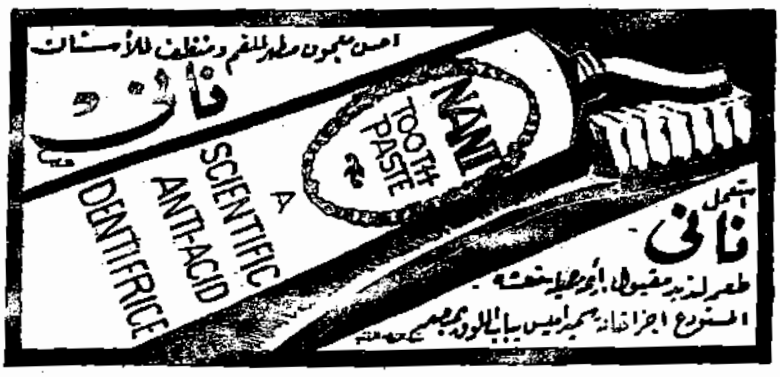

يحصر ، من هذه الضوضاء الغريبة التي يمتلىء بها البيت حين تفارقه الحياة ، ويمتلىء بها البيت حين تدخله الحياة .

قال الاستاذ محزونا مشفقا : وكم قضى المسكين من وقت على هذه الحال ؟ قال التلميذ يوما كاملا نصفه في ذلك البيت الذي كان يخلو ، ونصفه في هذا البيت الذي كان يعمر . ولقد لقيته فهممت ان اتحدث اليه في الانتقال من دار الى دار ، وان اذهب معه مذهب الادباء في هذا الحديث ؛ فأخذت أذكر له وقوف الشعراء على الاطلال واحيائهم لها بثير هذا الوقوف في نفوسهم من الذكرى وما يسفح على خدودهم من العبرات ، وذهبت اروى له : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل . . وانشده : لخولة اطلال ببرقة ثهمدى . . . واتغنى له بدمنة ام اوفى . . واروى له ماقال ذو الرمة في ربع مية . واستطرد به الى ماقال ابو تمام في عمورية بعد ان دمرها المعتصم تدميرا . فلم أجد منه نشاطا ولا انبساطا وانما قال في صوت المحزون ولهجة المتعب المكدود وما انا وذاك ؟ لقد تنقلت في حياتي بين دور كثيرة من حوش عطى ، الى درب الجماميز ، الى شق الثعبان ، الى مونبليه ، الى باريس ، الى السكاكيني ، الى الحويات ، الى هليو بوليس ، الى الزمالك ، فأقسم ماوجدت ساعة الانتقال لحظة من هذه اللحظات الحلوة التي يغنيها الشعراء غناء جميلا في شعر جميل اودع فيها دارا احببتها وبلوت فيها الحلو والمر من الوان الحياة ، واستقبل فيها دارا لا اعرفها ولا أعرف ماستكشف لي فيها الايام عنه من الاحداث والخطوب . انما هو الضجيج والعجيج وازدحام الادوات والاثاث ، وصياح العمال والحالين وخفق الاقدام ، وجر الاثقال ، ومجلس ضيق كهذا المجلس الذي ترى وساعات طوال ثقال كهذه الساعات التي رأيت ، ثم وصل لما انقطع من الحياة نوسعى فيما أهمل من العيش ، وانغماس في هذه الحركات العنيفة التي لا موضع فيها للشعر ولا مكان فيها للغناء . هنالك عدلت به عن هذا النحو من الأدب الى نحو آخر ، فأخذت اتحدث اليه عن قول ابي تمام

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى
وحنينه ابدا لاول منزل .

واخذت اسأله عن احب منازله اليه وآثرها عنده فلم يحتج الى تفكير ولا تقدير ، وانما قال في صوت حزين يشوبه الابتسام احب دار وآثرها عندي انما هي تلك الدار التي درجت فيها طفلا في قرية من قرى الريف ، وهذه الدار التي نشأت فيها شابا في حوش عطى ، ثم هذه الدار التي أقمت فيها طالبا للعلم في شارع من شوارع الحي اللاتيني في باريس ولكن بشرط الا أعود الى الاقامة والحياة في واحدة منها ، هي خيبة الى كريمة على أثيرة عندي حين اذكرها وحين ألم بها الالمامة القصيرة اليسيرة ، فأما أحب الدور الى وآثرها عندي الآن فهي هذه التي تراها مضطربة مختلطة مملوءة بالضجيج والعجيج والصياح من كل نوع ، وتراني فيها اسيرا سجينا بين هذه الادوات المختلطة المكدسة لا أستطيع حركة ولا انتقالا لانها ستستقيم لي بعد أيام ، وستحمل الى فيها ساعات الحياة من الوان العيش مالم اذق بعد . ويحق ان اذكر تلك الدور كلها وكيف انتقلت من احداها الى التي تليها حتى انتهيت الى هذه الدار لتعلم اني كغيري من الناس خليق الا امنح تلك الدور من نفسي الا هذا الحب الذي يقترن بالذكرى ، ومن يدري لعلي اذا انتقلت من هذه الدار التي تراها الى دار اخرى أوثرها عليها واختصها بالتفضيل انما مثلي في كل دار نسكنها قطعة من قلوبنا ، ولكنك تعلم ان قلوبنا لا تنقص بما تفرق من أجزائها بين الدور ، وانما تكمل وتستكثر من الثروة بهذه الذكريات التي تحملها معنا الى أن يأتي هذا اليوم الذي ننتقل فيه الى منزل آخر لا نؤثره ولا يؤثرنا ، لا نحبه ولا يحبنا ، لا نسعى اليه ولا يسعى الينا ، وانما نكره عليه اكراها ، ويكره هو علينا اكراها . . . .

هنالك أحسست مرارة الحديث فهممت ان اتحول بصاحبي الى حديث آخر ، ولكن أمور الدار وترتيبها كفتني مؤونة هذا الانتقال ، فقد اقبل المقبلون يرفعون هذا ويضعون ذاك ، يتصايحون ويتبادلون بينهم الامر والنهي . قال الاستاذ لا بأس بهذا الموضوع ولكن علي ان اعالجه علاجا آخر واعرضه عرضا فنيا يثير الضحك ويثير الرثاء وانما يتأتى ذلك حين تقصد اليه قصد صاحب الفن وتبث فيه جزءا من اجزاء نفسك تمنحه شيئا من الحياة ؟

طه حسين

(الرسالة) عاق الدكتور بعض الشواغل عن ترجمة النفس والرض فأرجاها الى العدد القادم

قراءة الأفكار وعلوم نفسية
تحقيق الرغبات ، السر في المعالجة النفسي ، المثل الأعلى ، بناء الشخصية والارادة وتقوية الذاكرة مجانا
ملكات العقل الباطن
المنبوغ ، التنويم المغنطيسي ، الايحاء ، التحليل النفسي ، التركيز ، الابتكار ، الخلود ، اليقظة الباطنية الخ مجانا
يطلب الكتابان من مؤلفهما الأستاذ وليم مرجنوس المحامي بشارع المرحة البولاقية رقم ١٥٦ بالسيدة بمصر